

الغاوي؛ سعادته هو الفيلسوف الوحيد الذي قدم إلى عامة الناس

نظراته الشاملة على شكل مبادئ وعقيدة وتعاليم



الغاوي يلقي محاضرته



جانب من الحضور



أقامت منفيّة سدني في الحزب السوري القومي الاجتماعي ندوة ثقافية لمناسبة عيد تأسيس الحزب، ألقاها شحادي الغاوي، وهي بعنوان: «التأسيس العلمي للعقيدة... النظرة إلى الحياة والكون والرفن».

حضر الندوة منفّذ عام سدني أحمد الأيوبي وأعضاء هيئة المنفيّة، قنصل الجمهورية العربية السورية ماهر دباغ، وحشد من القوميون والأصدقاء والمهتمين. وقدم للمحاضرة ناظر الإذاعة والإعلام في المنفيّة جيسس حريب.

استهل المحاضر الغاوي كلامه بالحديث عن التأسيس فقال: نحن على مشارف العيد الـ82 لتأسيس الحزب السوري القومي الاجتماعي، وهذا زمن طويل إذا نظرنا إلى التأسيس كحدث سياسي، كان يفترض أن ينجز أهدافا سياسية أقلها الوصول إلى السلطة، أو بعض السلطة في الدولة كما فعل غيره من الأحزاب السياسية التي تأسست بعده وسبقته في وصولها إلى السلطة وقيادة الدولة. ولكنه زمن قصير إذا نظرنا إليه كحدث ثقافي نهضوي روحي، يطوي على فلسفة جديدة ونظرة جديدة إلى الحياة والكون والرفن. 82 لحظة تاريخية قصيرة عندما يكون التأسيس هو تأسيس فكرة وحركة تتناول حياة الأمة السورية بأسرها، وهي كانت أمة معلمة وهادئة لأمم، وإعادة الحياة والحيوية والريادة إليها بعد أن ظنّها أعادوها أنّها انقرضت، كما يقول سعاد، وقد فقدت وجدانها القومي على مدى عهود طويلة، وفقدت هويتها وشعورها بكيانها وشخصيتها ووجودها ويوحدها حياتها ووحدة مصالحها ومصيرها في هذه الحياة وهذا الوجود. إذا... نحن أمام حدث غير عادي وغير تقليدي، والتأسيس تبعاً لذلك، لا بد أن يكون مبنياً على شيء ثابت راسخ قوي لا يهتز ولا تزعزعه الأنواء والخرائب والصعوبات، ولا أي نوع من أنواع النواكب والمصائب. هذا الشيء الراسخ هو العلم بما يحينه العلم من معرفة الحقائق والوقائع، معرفة يقينية عقلية لا يرقى إليها الشك أبداً، وقد ساء سعاد بالأساس العلمي للعقيدة أحياناً، وبأساس التطور الإنساني أحياناً أخرى.

علاقة الفكر بالحيقة

ورأى الغاوي أنّ سعاد، ومنذ أنّ فكر بتأسيس الحركة السورية القومية الاجتماعية، بدأ من نقطة تحديد علاقة الفكر بالحيقة، والنظرية بالواقع، أي علاقة الفلسفة بالعلم. والتي أشار إليها في مواقع عدة من كتاباته، ومنها شرحه في الوثيقة المكتوبة التي أرسل بها من سجنه يوم اكتشاف أمر الحزب، وشرح فيها الأسباب التي دفعته إلى إنشاء الحزب. في هذا الكتاب يذكر سعادة أنه بدأ من السؤال الفلسفي «ما الذي جلب على شعبي هذا الويل؟» ويقول: «... وبديهي أنني لم أكن أطلب الإجابة من أجل المعرفة العلمية فحسب، فالعلم الذي لا يقع كالجبال التي لا تضر، وإنما كنت أريد الجواب من أجل اكتشاف الوسيلة الفعالة لإزالة أسباب هذا الويل. وبعد درس أوابي منظم قُرت أنّ فقدان السيادة القومية هو السبب الأول في ما حلّ بأمّتي وما حلّ بها، وهذا كان فاتحة عهد درسي المسألة القومية ومسألة الجماعات عموماً، والحقوق الاجتماعية وكيفية نشوتها...» إلى أن يقول: «ولما كانت

دروسي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية قد أوصلتني إلى تعيين أمّي بالعلوم المتقدمة وغيرها... أسست الحزب ووحدت فيه العقائد القومية في عقيدة واحدة هي سورية للسوريين والسوريون أمة تامة».

واعتبر الغاوي أنّ الإشارة الثانية كانت في الشرح الموسع للمبادئ وبالتحديد شرح المبدأ الأساسي الأول، حيث أكد على فكرة سورية للسوريين، والإشارة الثالثة في ما ذكره سعاد في مقدمة كتابه العلمي «شؤون الأمم»، «فالعقيدة إذا... أي الفلسفة، قد تأسست على العلم وبُنيت عليه، أي على المعارف والحقائق العلمية، وليست العقيدة والفلسفة مجرد نظريات من دون معلومات ما افتراضات من دون أساس».

ثم استعرض المحاضر تعريفات العلوم فأرى أنها حاصل درس الحياة والإنسان وكل ما يحيط بهما من مادة وقيم ومعرفة معرفة عقلية يقينية بالتجربة والبرهان والقياس. هي معرفة الوقائع والحقائق كما هي.

أسئلة لا تنتهي

أما فلسفة العلوم فهي درس مبادئ وأسباب وعوامل الحياة والإنسان والأشياء، وهي البحث عن إجابات للأسئلة التي لا تنتهي حول سبب وجود الحياة، أي لماذا وجدت؟ وهل الأرض تورق؟ وما هو سبب وجود الكواكب وسرّ انتظام حركتها؟ ولماذا هناك أمم ومجتمعات وليس أمة واحدة ومجتمع واحد يضمّ البشرية كلها؟ ولماذا تتعدد الثقافات الإنسانية وتباين؟ ولماذا لا يوجد ثقافة إنسانية واحدة جامعة شاملة من دون تباين بين مجتمع وآخر؟ ما هو الصراع؟ ولماذا يوجد صراع مصالح بين الأمم؟ وما هو المبدأ والسبب الأساسي لهذا الصراع؟ وكلما توغنا في المزيد من هذه الأسئلة نصل إلى فكرة البحث عن علة وجود الحياة والإنسان والغرض من وجودهما. وكل سؤال من هذه الأسئلة الكثيرة يجد جوابه الأكيد المنبثق بالبرهان يصحح علماً. ويبطل أن يكون في دائرة فلسفة العلوم. أما الذي يبقى في دائرة فلسفة العلوم فهو السؤال الذي لم يجد جواباً علمياً أكيداً عليه بعد، وهو الذي لا يزال خاضعاً للتأويل والتخمين والترجيح والنظريات التي لم يتّجه برهانها بالعلم، والتي تحمل في ذاتها إمكانية الخطأ وطلانه كما إمكانية الصحة وصلاحتها. ولا بد من الإشارة إلى أنّ الإجابة العلمية على بعض الأسئلة، قد استغرق آلاف السنين من التفكير والتخمين والبحث إلى أن أصبح علماً وحيقة معروفة عند الإنسان بعدما كان حقيقة معروفة عند الله، أي إلى أن اكتسبت قيمة الحقيقة حيث الحقيقة قيمة إنسانية وجودية ومعرفية إنسانية لهذا الوجود.

ورأى الغاوي أنّ عملية الاستفادة من العلوم المتمثلة بالحقائق والمعارف الإنسانية، أي عملية استعمال تلك العلوم واستخدامها من أجل الحياة وتحسينها وجوبيدها هي ما نسئبه بالفن. لذلك كثيراً ما تقرر العلوم بالفنون ونقول: العلوم والفنون.

أرقى مراتب الفنون

أما فلسفة الحياة فهي أرقى مراتب الفنون، هي فن التخطيط للحياة الجيدة

التي فيها قيم الحق والخير والجمال. الفلسفة هي فن رسم الحلول الذهنية لقضايا الحياة استناداً إلى معارف الإنسان واختباراته وعلومه وثقافته. وهكذا فإن شرط الفلسفة لكي تكون فلسفة صحيحة نافعة، أنّ تكون مؤسسة على العلم وحقائق الحياة والوجود، ولا تتعارض مع هذه الحقائق أبداً. وهذا ما نسئبه مبدأ التوافق أو الانسجام بين العلم والفلسفة.

هناك فلسفات كثيرة وحقائقها والمعارف الإنسانية وحقاقتها. صحيحة وحقيقية وجيدة ونافعة للإنسان ومصالحة ومستقبلية، ولكل فلسفة أتباعها ومعتقوها والمدافعون عنها. أما كيف نحلّ هذه المعضلة ونعرف ما هي الفلسفة الصحيحة وما هي الفلسفة الفاسدة؟ فبالحرية حيث الحرية صراع فكري سعاد، وهو قد وصف هذه المسيرة بكلمات قليلة هي: «صحة والتوافق مع الحياة، أي مع العلم وحقائقها والمعارف الإنسانية وحقاقتها.

ثم تحدث المحاضر عن الفرق الرفيع والدقيق بين ما نسئبه تعاليم ومبادئ وعقيدة وفلسفة ونظرة إلى الحياة والكون والرفن، فقال: تعرف أنّ هذه التعاليم متشابهة، وهي تعني شيئاً واحداً هو القضية التي تؤمن بها وتعمل لها وهي لشدة إيمانها بها تساوي وجودنا كله، من أجلها وعلى طريقها قد صنعنا ملحمة صراع كبير وعنيف كلف دماء ودموعاً وآلاماً وصبراً عظيماً وثقة كاملة بالانتصار، لأنّ الحق انتصار في معركة إنسانية تجري ضمن هذا الوجود، يقول سعاد، وهو قد وصف هذه المسيرة بكلمات قليلة هي: «صحة العقيدة وشدة الإيمان وصلابة الإرادة ومضاء العزيمة». التعاليم هي ما نتعلمه، أي المبادئ وما ننتقل منه في نظرنا إلى الأمور، المبادئ هي بنود العقيدة، وما نتخذ به نتخذ إيماناً لنا لا نحيد عنه وهو ما نسئبه لفلسفة الحياة، وكان سعاد في السنين الأولى من التأسيس يكثر استعمال كلمة العقيدة أكثر من كلمة الفلسفة لما لكلمة العقيدة من معنى التعلق وارتباط الجماعة الوثيق في فكرة وحركة واحدة.

نظرة شاملة

أما النظرة إلى الحياة والكون والرفن فهي أكثر من ذلك، إنها مصير التعاليم والمبادئ والعقيدة والفلسفة. إنها نظرة شاملة تتضمن الإحاطة بالعلوم وفلسفة العلوم وفلسفة الحياة معاً. وقد امتاز سعاد بأنه صاحب نظرة شاملة إلى الحياة والكون والرفن، يبسط نظره وفلسفته ليسهل تلقفها من قبل الناس ويسهل فهمها، لقد وضعها في مبادئ ثمانية وشرحها شرحاً أولياً، ثم وضع هذه المبادئ مع الشرح في كتيب صغير أسماه كتاب التعاليم ليكون في متناول كل من يجيد القراءة.

وختم المحاضر قائلاً: لعل سعاد هو الفيلسوف الوحيد صاحب النظرة الشاملة التي يلخص فلسفته ونظراته ويكتبها بشكل مبادئ ويقدمها إلى عامة الناس كعقيدة وفلسفة وتعاليم.

دبابيس

مجتمع مدني... «فالسو»!

أحمد طي

كتب العبقريّ جبران خليل جبران ذات يوم وهو يصف حالته بعدما ابتلى بتسوّس في أحد أضراسه، أنّ هذا الضرر كان يحتال على تعذيبه فيسكن متربصاً ساعات النهار، ويستيقظ مضطرباً في هدوء الليل عندما يكون أطباء الأسنان ثامنين والصيدلية مغلقة.

ويروي جبران من باب التمهيد للمأثرة، كيف أنّ أحد الأطباء شارك في تعذيبه عندما كان يحاول تطبيق الضرر وتجميله، وحشوه وتلميعه وتليبيه، عوضاً عن استئصاله، إلى أنّ أذعن الطبيب، فقلع الضرر باليالي المسوّس الذي حرم جبران لذة الرقاه وحول سكينه ليالي إلى الأنيب والضحجج.

ثمّ يمضي جبران قائلاً: «في فم الجامعة البشرية أضرار مسوّسة وقد نخرتها العلة حتى بلغت عظم الفك. غير أنّ الجامعة البشرية لا تستأصلها حيث الأطباء من أوجاعها، بل تكفي بتمريضها وتنظيف خارجها وملء ثقوبها بالذهب اللامع.

وما أكثر الأطباء الذين يدأبون أضرار الإنسانية باللاء الجميل والمواد البرّاقة.

وما أكثر المرضى الذين يستسلمون إلى مشيئة أولئك الأطباء المصلحين فيتوجّعون ويسقمون ثم يموتون بعلمهم مخدوعين...».

ويقول: «الأمة التي تكون أضرارها معتلة تكون معدتها ضعيفة، ومكّم أمة ذهبت شهيدة عسر الهضم...».

وهنا يلجأ جبران إلى إسقاط صفة التسوّس في الأضرار على الجامعة البشرية، أو الأمة، ويرشد القارئ إلى أماكن الأضرار المسوّسة ومنها: «المحكّمه حيث يتلاعب النكاه البهلواني بالقضايا الشرعية مثلما تلعب القطه بصيدها... أو منزل المثربين حيث التصنع والكتب والرياء... أو بيوت الفقراء حيث الخوف والجبانة والجهالة...».

وهنا بيت التصيد: بيوت الفقراء. الفقراء الجبناء الذين يحترفون الخوف، ويجيبون عن المطالبة بحقوقهم، ويجهلون أصلاً كيفية المطالبة بهذه الحقوق.

أما اليوم، وفي ظل الأوضاع السائدة، فإننا نجد الخوف يسيطر على الشعب اللبناني، ونرى الجبانة كيف تردع هذا الشعب لا بل تحميه، أما الجهل فواضح ولا يحتاج إلى أيّ تعليق.

ثمّة من يقول إنّ الشعب اللبناني منقسم بين 8 و14 آذار. حسناً، وشعب الولايات المتحدة منقسم بين الفيال الجمهوري والحمار الديمقراطي. وشعب فرنسا منقسم أيضاً بين اليمين واليسار، ولكن شعب الولايات المتحدة المنقسم يتفق من أجل مصالحه، ويكاتف من أجل نزغ الغبن عنه، وشعب فرنسا المنقسم أيضاً ينزل متحدّاً إلى الشوارع من أجل رفض الضرائب أو محاسبة حكومة. أما في لبنان، لا ثقافة الوحدة «ماشية»، والانقسام يودي بنا إلى التهلكة.

وثمّة عبارة شائعة لدى معظم الشعب اللبناني، تستعما كلّما أثرت مسألة المطالبة بالحقوقي والنزول إلى الشارع، وهي عبارة «بدعنا»، التي تنم عن ثقافة انهزامية اجتاحت هذا الشعب، خصوصاً بعدما اجتاحت موجة ما اصطلاح على تسميته «المجتمع المدني».

وإذا أردنا تعريف المجتمع المدني اصطلاحاً، فهو يشير إلى كل أنواع الأنشطة التطويع التي تنظمها الجماعة حول مصالح وقيم وأهداف مشتركة. وتشمل هذه الأنشطة المتنوعة: تقديم الخدمات، أو دعم التعليم المستقل، أو التأثير على السياسات العامة. ففي إطار هذا النشاط الأخير مثلاً، يجوز أن يجتمع مواطنون خارج دائرة العمل الحكومي لنشر المعلومات حول السياسات، أو ممارسة الضغط بشأنها، أو تعزيزها.

أما إذا أردنا تعريف المجتمع المدني لبنانياً، فنجد أنّ ما سبق ليس سوى شعارات وعناوين، تتلطّى خلفها مئات الجمعيات التي تعتبر نفسها غير ربحية، بينما نجدها في الحقيقة الخلفية تعمل من أجل مآرب شخصية لمؤسسيها وادعماها.

ما علاقة المجتمع المدني بحقوق الشعب؟ سؤال وجيه قد يحضر أمام القارئ، فنقول إن ما سُمي بالمجتمع المدني في لبنان، أخذ على عاتقه منذ فترة التحديث باسم الشعب اللبناني. وهنا، غالباً ما نرى صفور المجتمع المدني، يتباهون في خطاباتهم بأنهم لا مع 14 آذار، ولا مع 14 آذار، ومنهم من يجاهر بأنّه لا ينتمي إلى أيّ حزب، ولا يحبّ أيّ عقيدة، وقد كذب هؤلاء على أنفسهم أولاً، وعلى من يريدون إن يُسمعه أوصواتهم ثانياً. فالحقيقة تقول، أنّ لا لبناني «متصلص» من الميل إلى عقيدة ما أو حزب ما.

ومن صفات صفور المجتمع المدني في لبنان، الكسل. فتراهم ينتشون في التعبير عن آرائهم على مواقع التواصل الاجتماعي، ويتباهون بالسياب وإطلاق الشاتنات، و«بهذلة» النائب الغلاني، وتناول الوزير العلائي، وعندما تحين الساعة، أو تتطلب القضية النزول إلى الشارع، تراهم منزوي خلف حواسيبهم، و«يتعلقون» بالتضامن أو الشجب والاستنكار.

عام 2007، سافرت إلى مدينة مرسيليا الفرنسية لإجراء دورة تدريبية في إدارة المكتبات العامة. وأخيرنا المنظوم ذات نهار، أنّ ساقتي النقل العام في المدينة يُضربون في اليوم التالي، فلا دروس ولا محاضرات. أمضينا يوماً في الفندق والأسواق القريبة منه. وفي اليوم الثالث، أصرب الموظفون بحجة أنّ الباصات والقطارات متوقفة عن العمل إضافة إلى metro والترانزمامي بسبب إضراب السائقين. أذكر جيداً أنّ مطالب السائقين أقرت مساء ذلك اليوم، وأذكر جيداً مشهد اعتصام الموظفين الذين لم يقطعوا الطرقات ولم يحرقوا الإطارات. جل ما فعلوه، شبكوا أيديهم على الأرضة وشكلوا سلسلة بشرية امتدت طويلة في شوارع مرسيليا الرئيسية.

في لبنان، وزن ربطة الخبز تقلص إلى ما دون الكيلوغرام الواحد، والشعب ما زال صامتا، والمجتمع المدني كسولا.

في لبنان، ثمن صفيحة البنزين يرتفع بينما ثمن برميل النفط عالمياً ينخفض، والشعب ما زال صامتا، والمجتمع المدني كسولا.

في لبنان، يدفع المواطنون ثمن الطاقة الكهربائية غير المؤمّنة أصلاً، والشعب ما زال صامتا، والمجتمع المدني كسولا.

في لبنان، الزراعة تموت والغابات تضمحل والجبال تاكلها الكسارات، والشعب ما زال صامتا، والمجتمع المدني كسولا.

في لبنان، غالبية المواد الغذائية فاسدة، والسمسم عنوان المخازن والموالات، والشعب ما زال صامتا، والمجتمع المدني كسولا.

في لبنان، لا شارع آمن، ولا حي آمن، ولا سيارة آمنة، ولا مكان آمن، والشعب ما زال صامتا، والمجتمع المدني كسولا.

في لبنان، الأملاك البحرية مسرقة، والتلوث يجتاح البحر كما الجبل والسهل، والشعب ما زال صامتا، والمجتمع المدني كسولا.

في لبنان، أقطاع سياسي يتوارث السلطة منذ عقود تحت اسم الديمقراطية والميثاق الوطني، والشعب ما زال صامتا، والمجتمع المدني كسولا.

في لبنان، مجتمع فقير، ومجتمع مدني... «فالسو»!

أخبار متفرقة

وفد إعلامي إيطالي

يلتقي الحسيني

ناشد رئيس اتحاد بلديات قضاء صور عبد الحسّن الحسيني الدولة الإيطالية والقائمتان التدخل في العراق من أجل إيقاف تهجير المسيحيين وحماية الحضور المسيحي في الشرق الذي يشكل مصدر غنى للمنطقة، وهذه الصورة الرائعة التي تجسد النوح بما هو حالة حوار دائمة ورسالة حضارية للإنسانية. وتقد أنّ لبنان متمسك بعيدا العيش المشترك.

وشدّد الحسيني خلال لقاء مع ممثلي الوسائل الإعلامية الإيطالية في مقر الاتحاد في صور على ضرورة إطلاق مبادرات شجاعة اعتادت عليها شعوب المنطقة من قبل الفاتحيك، من أجل حماية المسيحيين وتثبيتهم في الشرق. منتقدا كالم بعض الدول الأوروبية عن دعوتها المسيحيين للجوء إليها بدل تأمين حمايتهم في أرضهم.

وعبر الحسيني عن قلقه إزاء الأوضاع العامة في محيط لبنان، خصوصا ظاهرة «داعش» وأحوالها ثم أضاف: «نحن كلبنانيين جاهزون وعلى أتم الاستعداد لمواجهة الإرهاب، فلن نقبل

بأي مجموعة تحاول النيل من رمزية العيش المشترك التي تمزّج بلدنا».

شكر أشاد الحسيني بالعلاقة المتينة والتاريخية التي تربط شعب إيطاليا بلبنان، منوها بتضحيات الجنود الإيطاليين المشاركين في مهمة «اليونيفيل» في سبيل استقرار جنوب لبنان وأمنه. واعتبر أنّ ما تقوم به الكتيبة الإيطالية إلى جانب جيشنا اللبناني في حفظ امن الجنوب، يساهم بشكل فاعل في تعزيز بقاء الجنوبيين في أرضهم. منوها بما تقدمه الكتيبة الإيطالية من خدمات ومشاريع إنمائية للقرى الواقعة ضمن نطاق عملها.

وتحدّث مراسل التلفزيون الرسمي الإيطالي «راي نيوز 24»، أنطوري غوستاللو باسم الوفد الاعلامي الإيطالي، شاكرا للحسيني بالوفد الاستقبال ودعمه الجنود الإيطاليين، ناقلا إليه تحيات الشعب الإيطالي وتحيات قائد الجيش الإيطالي كلاوديو غرازيانو الذي تربطه بالحسيني وبالجنوبيين علاقة صداقة متينة. وأعرب غوستاللو عن سروره للزيارة والتي تفيث التزام إيطاليا إزاء دعم لبنان، ونوّه بأهمية النشاطات والخدمات الإنسانية التي يقدمها مكتب التعاون المدني - العسكري في



(محمد أبو سالم)

الحسيني مستقبلاً الوفد الاعلامي الإيطالي